مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكّمة - نصف سنوية

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

17

الـ عدد

السابع عشر

سبتمبر 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)

صدق الله العظيم

(سورة الإسراء – آيه85)

هيئة التحريـــر

- د. علي سالم جمعة رئيساً
- د. أنور عمر أبوشينة عضواً
- د. أحمد مريحيل حريبش عضواً

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب /كلية الآداب الخمس، وتنشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الإنسان ية.

- كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة أية مسؤلية اتجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د. على)

(00218926724967 د.احمد)- أو (00218926308360 د. انور)

البريد الالكتروني: journal.alkhomes@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك: journal.alkhomes@gmail.com

قواعد ومعايير النشر

-تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة التي تتسم بوضوح المنهجية ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية والانجليزية والدراسات الاسلامية والشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

-ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

-نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسان ية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسان ية.

-ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات التإلى ة (اسم المؤلف كاملاً- عنوان الكتاب- مكان وتاريخ النشر-عدد صفحات الكتاب-اسم الناشر- نبذة مختصرة عن مضمونه- تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

ـ يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطيا عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة

في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلا أو جزءاً من رسالة (ماجستير – دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

ـ لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثا بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.ـ

– تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط إذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقا محفوظا للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

–لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبلَ للنشر أم لم يقبل.

–تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن ان يرسل إلى محكم اخر وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

– يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إلى هـ، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

*** قبول البحث دون تعديلات.**

***قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.**

***رفض البحث.**

–تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كان

المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

-ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

-الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

- ترفق مع البحث السيرة علمية (cv) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية ونخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الالكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

-تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، او ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

-إذا تم ارسال البحث عن طريق البريد الالكتروني او صندوق البريد يتم ابلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

- يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه او إبداء رغبته في عدم متابعة

إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

-عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصرا قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة او المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

-أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين:_

1:البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إلى هـ، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2:البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيناً فيها أهميته وقيمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

-يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة(A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على(Cd) باستخدام البرنامج

الحاسوبي(MS Word).

– يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع.
–يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والانجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

–يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الانجليزية و مسافة و نصف بخط Simplified Arabic 14 للأبحاث باللغة العربية.

–في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

–يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع.

طريقة التوثيق:

–يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة

التإلى ة ستبدأ بالرقم (1).

-ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

اولا :الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد – إن تعددت المجلدات– والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م، ج3، ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانيا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي– مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعا: الآيات القرآنية والاحاديث النبوية:– تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

فهرس المحتويات

عنوان البحث الصفحة

1-التغيرات السكانية ببلدية مصراتة للفترة (1973 – 2016).
د. أبو القاسم علي سنان و أ. أحلام محمد بشير.. 11
2- الحاضر والمستقبل وإشكالى ات قراءة الماضي "وقفة تأملية في أساليب قراءة المكونات التراثية".
د. محمد علي كندي... 49
3- العلاقات الليبية – السودانية (1969- 2008م) دراسة في الجانب السياسي.
د. خالد سعد كريم و .أعلي مفتاح الجد.... 72
4- أثر الاختلاف الفقهي في الدعوة إلى الله.
أ. عبدالقادر عمر عبدالقادر الحويج.....107
5- (الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية كما يدركها الأبناء).
أ. سالمة عبد العالى عبد الحفيظ... 137
6-الخطوات الرئيسية في كيفية استخدام برنامج ARC GIS
د. أنور عمر عبدالسلام وخالد الفرجاني- د. خالد سالم معوال.....177
7-مفهوم التلقي في الموروث النقدي والبلاغي
د. مصطفى عبد الهادي عبد الله 199
8- أثر القرآن الكريم وتأثيره في الخط العربي عرض وتحليل.
د. رجب فرج أبو دقاقة.....229
9- أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالسلوك العدواني لدى عينة من طلاب مرحلة التعليم الأساسي بمنطقة قماطة- العربان.
د. عمرو علي عمر القماطي.....264
10- الوراثة وإسهامها في الإعاقة العقلية.
د. أحمد محمد معوال.....295
11-علاقة الاخلاق بمفهوم التصوف.

د. آمنة العربي العرقوبى.....322

12- ظاهرة العدول الصرفي في الأسماء عند ابن جني.

د. عزة معاوي عمر الشيباني.....343

13- دليل الإعجاز من الاستعارة والمجاز.

أ. نورية سالم أبورويص.....374

14- الضغوط النفسية آثارها وأساليب مواجهتها.

أ. عائشة علي فلاح و أ. هيفاء مصطفي اقنيبر.....399

15- الفكر الأخلاقي عند ابن حزم الاندلسي.

د. أحمد مريحيل حريبش و أ.سالمة اشتيوى ناجى.....436

16- التقنيات الحديثة وأثرها على دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر طلاب الجامعة دراسة ميدانية على عينة من طلبة كلية الآداب زليتن

أ.سالم أحمد فرحات الجندي.....455

17-علاقة النقل البري بباقي الخدمات منطقة الخمس نموذجاً" .

د.عياد ميلاد المجرش و د. صالح الأحمر. 486

18-The effectiveness of teachers and parents which helps prevent school violence among learners

Mr.Eman Omaran Khalil/ Mr.Sara Salem Alsenni Zawali.....501

19-THE PROBLEMS OF TEACHING MIXED ABILITY CLASSES

Mr.Ekram Jabreel Khalil.....513

20- Teaching English Language through Literature

. Dr. Bashir Al Roubi/ Mr. Surendra Babu Kaja.....549

الحاضر والمستقبل وإشكالي ات قراءة الماضي

"وقفة تأملية في أساليب قراءة المكونات التراثية "

إعداد: د. محمد علي كندي•

مقدمة :

الإنسان بطبيعته يحنّ إلى أصوله وجذوره، ولا يفتأ يذكر تلك الأصول – سراً أو علانية – كلما شاقه الحنين إلى موطنه الأول الذي لامست خيوط شمسه عينيه للمرة الأولى، بعد اكتمال الطّور الأول من حياته في أسداف الظلمات، وذلك الحنين لا علاقة له – في تقديري – بالحيز المكاني؛ وإنما محل الأهمية ما يحوزه ذلك الفضاء المكاني من مقومات معنوية بالدرجة الأولى، والدليل ظاهر وجلي حين يتشبث أبناء الصحاري المقفرة المجدبة بأماكن سكناهم، مع توفر البديل – في غالب الأحيان – الذي يفوق تلك الأماكن رفاهًا ولين عيش.

الأصول لا تعني فقط الامتدادات الإثنية "العرقية" التي تعني الكثير– عند بعض بني الإنسان – وإنما تتوسع لتشمل كل ما له علاقة بماضي الإنسان الذي لا يرغب في التخلص منه ، ولا يمكنه ذلك إذا رغب فيه، ذلك ما يمكن أن يمثل التراث المادي والمعنوي للأفراد والأمم والجماعات، فما المقصود إذن "بالتراث" على وجه التحديد؟ وما الذي يمثله لصاحبه؟ ولماذا التطرق إلى هـ في الوقت الراهن، وقد بلغت البشرية من التقدم العلمي مبلغًا بات من الصعب تصوره أو الإحاطة بأبعاده ومداه؟.

• أستاذ الدراسات الأدبية والنقدية بالجامعة الأسمرية

قد يبدو أن جدلية "**التراث/الحداثة**" "**الأصالة / المعاصرة** "أهلكت بحثاً وتقليبا ، وأنه ما من داعٍ لإعادة إثارتها أو التفكير فيها ، وهذا عارض وارد، واعتراض مقبول له ما يبرره، ويدعو إلى التوقف أمامه، بخاصة في هذه الحقبة الحرجة التي يوضع فيها كيان الهوية – الفردية والجمعية – على محك طاحن لا يبقي ولا يذر، يؤيد هذا التوجه – وربما كان بسببه – التشعّب الكبير الذي يقع فيه الدارسون عند تصديهم لهذه المسألة، أو حتى مجرد الاقتراب من مناطقها الحساسة؛ لكن هل الأمر علي هذا النحو من الوضوح والبساطة؟

تُقدم هذه الورقة على فرضية أساسية مفادها : إن جانبًا مهمًا من تعقيدات الحالة الراهنة لأوضاع الأمة يتجاوب– في تقديري – مع قراءة خاصة ، قد تكون خاطئة، للمكونات "التراثية " نتج عنها فهم سقيم للذات ، وتقدير مزيّف للآخر، وتفاعل قاصر أو خيإلى مع اللحظة الراهنة، وقد سبقت الإشارة – في بحث سابق – إلى أهمية القراءة السليمة للمكون التراثي، بما نصه :" في هذه الورقة محاولة لتركيز النظر على هذه القضية، بمتابعة وجهات العائدين إلى التراث، وكيفية عودتهم إلى ه، وماهي أنجع السبل لتحقيق المبتغى من العودة إلى المكونات التراثية؟ بشكل يؤمن الاستفادة والاستزادة، ويقدم إسنادا حقيقيا لأصحاب التجارب المعاصرة ، وهم يواجهون سيلا عارمًا من الضخ المعلوماتي، عبر الوسائط الإعلامية المعاصرة التي تعمل – بقصد – على تذويب الخصوم أو تطويعهم " (1).

وها هي عودة جديدة؛ لتعميق التفكير في هذه النقطة المهمة، بوجهة مغايرة وليست مناقضة؛ فإذا كانت الورقة المشار إلى ها أعلاه حوصلت جهود العائدين للمكونات التراثية، وحاولت تحديد وجهاتهم، فإن الهدف – هذه المرة – هو اقتراح الوسائل والأدوات التي تجعل من قراءة التراث والعودة إلى مكوناته جهدا منتجًا ومهمًا في اللحظة الراهنة، مع تعريج طفيف على بعض نقاط الضعف في القراءات الحإلى ة، كلما ظَن أن ذلك سيكون مفيدًا ومثمرًا، وما من شك في أن التعرض لمثل هذه النقاط الحرجة يضع الدارس

أمام شيء من الرهبة، وكثير من التردد، وربما الارتباك، بدءا من تحديد نقطة الانطلاق – وتبعًا– نطاق الدرس، مرورًا بأسلوب المعالجة وأدواتها، وليس انتهاء بمادة الدرس ومكونات المضوع، ومع ذلك، فإن أهمية هذه الأفياء، وبريق جدواها يغريان بالمجازفة والشروع؛ ولعل شيئًا من هذا كان دافع من ارتادوا هذه السبيل من الأعلام، أمثال : المفكر الدكتور / محمد عابد الجابري، والناقد الدكتور / جابر عصفور، والأديب الشاعر علي أحمد سعيد " أدونيس" وغيرهم (2)

وفي هذا الصدد طرح الناقد جابر عصفور تساؤلات مهمة تتعلق بالتفكير في المسألة التراثية، تركزت في ثلاثة محاور : ما التراث؟ ولمإذا نقرأ التراث؟ وكيف نقرأ التراث؟ (3)، وفي ورقتي المنشورة بمجلة الجامعة الأسمرية التي أشرت إلى ها أعلاه، كانت محاولة للتعامل مع النقطتين الأولى والثانية؛ أما في هذه الورقة فينصب التركيز على التساؤل الثالث: كيف نقرأ التراث؟ وما جدوى ذلك إن حدث؟

ومن أجل التفاعل إيجابيًا مع هذه القضية المهمة، يمكن – تيسيرًا – وضع بعض الأطر المساعدة، ومنها: تحديد خط الانطلاق في هذه المدارسة، حيث يمكن تقييده بفترة زمنية ليست بعيدة، نسبياً، وتحديدًا منذ أن تدفقت علي تخوم الوطن جحافل الغزو الاستعماري الأوربي، أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حينها وقف أبناء الأمة – بكل أطيافهم – مشدوهين أمام الإعصار؛ ليكتشفوا عمق العزلة التي وقعوا فيها ، تغيبيًا عما كان يدور حولهم، ويحاك ضدهم، وفي حالة هي مزيج من الصدمة والانبهار تباينت ردود الأفعال والمواقف من ذلك الغريب الوافد – وتبعًا – من هذا القديم الموروث !!!، وانهالت التساؤلات : أيمكن أن يكون "الموروث" سببا أو بعض سبب فيما آلت إلى ه الأوضاع؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هو؟ وما حقيقته؟ وما جدوى التمسك به؟ وما أفضل السبل للتعامل معه؟

تلك كانت دندنة فريق؛ قابله فريق آخر معارضًا له، نافيا أن يكون للتراث أي علاقة بما نحن فيه من ضعة وهوان شأن، مؤكداً أن من ضمن التراث ما كان زمانه

مضيئاً مشرقا ، حين تمكن الأسلاف من حمل رسالتهم إلى أرجاء الدنيا وأصقاع المعمورة؛ بل من الدارسين من ذهب إلى أن مصطلح التراث لا ينسحب إلا على فترة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وحصرًا ابتداءً من عصر التدوين إلى أن سيطر الأتراك على المنطقة العربية، أي بين القرنين الثاني والعاشر الهجريين تقريبا، ذاهبًا إلى أنه لا وجود لهذه المفردة بهذا المعني في المعاجم العربية ولا في التفكير العربي القديم، فهو مفهوم حديث ظهر زمن النهضة العربية الحديثة، بدايات القرن العشرين (4)، فالعيب ليس في التراث من حيث هو؛ وإنما القصور والخمول يتعلق بمن آل إلى هم هذا التراث، أو حسبوا عليه؛ لأنهم لم يقرؤوه ، وإن قرأ بعضهم نتفا منه لم يتسنَّ لهم فهمه وتمثله.

وبالنظر إلى هول الفاجعة وعمق الفجوة، فمن الطبعي أن ينقسم أهل الفكر والأدب من أبناء العربية – آنذاك – حول القديم الموروث والجديد الوافد، وأن ينطلق كل فريق فيما حسبه محققا لأهدافه وتطلعاته، بين مادحٍ ومنزّه، يعلي من شأن القديم وأهله، ولا يقبل أي نوع من التمحيص أو المراجعة النقدية له أو لهم، وآخر قادح ومدنّس لذلك المتوهّم من المكونات التراثية، وما وقر حولها من تهويل وتضخيم حتى أضحى مفهوم التراث لديه يتراءى ولا يكاد يبين!!!.

ومن تلك الأطر – أيضا – الاكتفاء ببعض الإشارات والنماذج دون إطالة أو إسهاب، وفي حقول الأدب والنقد خاصة، تماشيًا مع التخصص وتلافيًا للتشتت والتداخل، ولا ادعاء للإحاطة والاستقصاء حتى بعد هذا التحديد؛ وإنما هي إشارات ومقتطفات، للتدليل والتحليل، وإثارة الفضول، من أجل ملاحقة الفكرة وتعميق المشروع، ومن ذا الذي يمكنه الطموح إلى التقصي في مثل هذه المجاهل، إن هو إلا جهد المقل، وسير الوجي في مدارات الكواكب وخلف بريق الأنوار، وقد يلحظ القارئ – كذلك – أن أغلب المقتطفات جاءت من كتابات الأعلام المشهورين والآباء المؤسسين لمشروع الذهنية العربية المعاصرة، من رواد بداية التحديث وانطلاق ما عرف بالنهضة الحديثة، ويعزى سبب ذلك – إلى جانب ما سبق – إلى الأهمية البالغة التي تمثلها تللك المقولات كما

هي الحالة بالنسبة لأصحابها، هذا من جانب، أما من جانب أخر، فلا يخفى الكم الهائل من السجال الذي دار، ولا يزال، حولها وحولهم.

وبهذا التأسيس تسعى هذه الوقفة إلى استعراض بعضٍ من وجهتي النظر عند الفريقين، بشكل موجز ومركز، مع إعطاء مساحة أوسع لفريق ثالث يقدم مشروعًا لقراءة آنية تفاعلية، في محاولة لتقديم فهم مغاير لما يعنيه كل منهما بهذه أو تلك من المواقف ، لأخلص في النهاية إلى ما أراه، ويراه كثير غيري ، جديراً بالعناية والاهتمام ، أملًا في معالجة حالة الالتباس هذه، **علّنا نسهم في تقديم أداة إجرائية للتعامل مع المكوّن التراثي عند العودة إلى هـ**، علي الصعيد الفكري والثقافي، وإن جاء التركيز علي الجوانب الإبداعية والأدبية ،متابعة وتمثيلاً، فذلك لما يمثله الإبداع من خصوصيةٍ – في التعبير والكتابة – ناتجةٍ عن تداخلٍ وتمازجٍ بين الفكري والوجداني؛ وعلى هذا فستكون هذه الورقة من مبحثين أساسيين : يتعلق الأول منهما بتوصيف الحالة السائدة طيلة القرن الماضي، وما انتابها من تفاوت وأحيانًا من تداخل وتشويش؛ في حين يخصص الثاني لاقتراح الأسلوب المناسب لقراءة المكونات التراثية، وهذا ليس بدعًا لا سابقة له؛ بل دعا إلى هـ وتبناه عدد من الكتاب والدارسين، وتعاملوا مع المعطى التراثي من خلاله، أواخر القرن العشرين وخلال هذين العقدين من القرن الحادي والعشرين، ثم تكون الخاتمة مذيلة ببعض المقترحات.

أولا / التراث بين التقديس والتدنيس:-

انطلاقاً مما تقدم تفاوتت مواقف المبدعين والمثقفين العرب من التراث بعامة والتراث الأدبي بخاصة، إذ ذهب فريق منهم إلى ضرورة العودة إلى هـ ،وإعادة إحيائه وبثّه في الحياة المعاصرة ،ونشر نماذجه الراقية على نطاق واسع، لأن هذا الصنيع من شأنه أن يتيح فرصة واسعة أمام أبناء الأمة بعامة، وباحثي اللسان العربي بخاصة للاطلاع على روائع التراث، وقراءته وتمثله ، وقد مثّل هذا التيارَ روّاد "الحركة الإحيائية "من العلماء والأدباء و النقاد، حيث انطلق الشعراء والأدباء

"الإحيائيون " من فكرة مفادها " إن شعرنا العربي لن يستطيع أن يثبت وجوده ،ويحقق أصالته، إلا إذا وقف علي أرضية صلبة من صلته بتراثه وارتباطه بماضيه.."(5)، ولأجل ذلك فقدا استلهموا أفضل نماذجه في عصور ازدهاره واعتمدوا عليها في كل شيء – تقريبا – من أشعارهم ، فنهجوا نهج الأقدمين ،وترسموا آثارهم في إقامة عمود الشعر والمحافظة علي أوزانه وقوافيه ،والبحث عن ألفاظه الجزلة ومعانية الفخمة، سعياً للارتواء من مائه والبهجة برونقه ! فبدا واضحا تقليدهم، وكاد يصل حد المتابعة الحرفية في بعض الأعمال لبعض الأعمال.

وما من شك في أن تعمد التقليد، والسير على المنوال يضيف مزيدًا من القيود والعراقيل أمام من يروم النهوض بهذه المهمة، فالنسخة المقلدة لا يمكن أن تكون موازية للأصل، مهما بذل صاحبها من أجلها، أو حاز من مهارة، لذلك تردت مرحلة البدايات – في غالبها – في هوة الركاكة والتقرير والمباشرة، حتى أصبحت الكتابات الأدبية – آنذاك – وبكل مسمياتها، أقرب إلى الزخارف اللفظية والتراكيب العقلية منها إلى الكتابة الإبداعية والصياغة الأدبية، وربما كان بمقدور الأدباء والشعراء والكتاب متابعة التقإلى د الأدبية الموروثة في بعض مناحي التعبير؛ لكن ليس على هذا النحو الذي ساد طيلة القرن التاسع عشر تقريبا.

يبدو الأمر أكثر سوءًا وتعقيدًا عندما يتعلق النص بمعالجة بعض القضايا المعاصرة، حين وقع بعضهم في عنت عظيم، عندما أرادوا التعبير عن منجزات الحضارة الحديثة بلغة الأقدمين وطرائقهم في التعبير، "مما أدى إلى اهتزاز كبير أصاب مواقف الشعراء ، فإذا نحن نقرأ شعراً كثيراً في دواوينهم لا ينسجم مع واقع الأحداث ، ولا يعبر عن إحساس الناس ومعاناتهم في هذا العصر" (6)، فقد اعتمدت تلك الأشعار صورًا بلاغية جاهزة ، وملئت بعبارات وصيغ منحوتة مكرورة، ربما فقدت قدرتها على العطاء أو الإيحاء من كثرة تداولها ودورانها، وبدا الحال –أحيانا – وكأن الغاية مقصورة على جلب تلك الصيغ والصور، وحشدها في النصوص حشداً دون التفات لما تنوء به تلك النصوص

من اقحامات ونتوءات غيرِ مبررة أو مفهومة، وهذا يفتح مجالًا واسعًا لتقدير الدافع لمثل هذا التضييق حيث السعة، فما مبرر الإصرار على ضرورة التقيد بنهج الأقدمين في التعبير، والإلحاح على السير على خطاهم، مع التسليم الكامل، بتغيّر المعطيات وتباين الظروف؟ وإذا كان من المسلم به –عقلًا – أن الذي يستعمل الطائرة يختلف – ضرورة – عمن يستعمل الدواب وسيلة للتواصل، فما جدوى ذلك التشبث المكابر؟

الهروب إلى الخلف :

قد يذهب التفسير إلى أن ذلك ربما مثّل تعويضاً، من نوع ما، لما يعانيه الشعراء والأدباء والمثقفون العرب من شعور بالنقص والعجز في مواجهة الآخر، بما هو عليه في عصره الحديث، مع ما يمكن أن ينهال على هذا الآخر من نعوت وأوصاف؛ فإذا كانت المقارنة ، وفق المعطيات المعاصرة، غير ممكنة بين أصحاب اللسان العربي ومنافسيهم فإن" الفرار إلى الماضي" يصبح ملإذا وحيداً – عند بعضهم – يقدم شعوراً بالغلبة والتفوق وإن كان لا يتجاوز الاسترجاع والتذكر والترديد مع شيء من المخاتلة والتضخيم.

هذا وضع يمكن تسميته "بالهروب إلى الخلف" فزعاً من هول المشهد وعظم التحدي وحرارة المنافسة ، فالحالة الراهنة للأمة لا تسمح بحال، بخوض غمار المنافسة بواقعية، بعيداً عن الأوهام والشعارات والانغلاق المطبق، فتغليق الأبواب والنوافذ في وجه شموس الحاضر وأقماره لا يُلغي وجودها ولا يوقف حركتها ودورانها، ربما أعطي شيئاً من السكينة الآنية لمن يفضلون الظلام على رؤية ذواتهم وتقاسيمهم على حقيقتها ، لكنه سيكشف عن واقع إلى م وتضاريس بشعة، في لحظة غير متوقعة لمن يقبعون خلف الأبواب والجدر، ويغرقون في الأوهام والخرافات.

وهذه حقيقة قد يدركها بعض أصحاب الموقف أنفسهم لكنهم يفضلون ذلك المآل قسرًا على أن ينظروا إلى أنفسهم في المرآة طوعًا، وتفكير من هذا القبيل مؤذن بفناء أمة تحمله، ناهيك عن أن يكون أسلوبًا؛ بل سلوكًا، فحالة "الهروب إلى الخلف" هذه تجمّد

العملية الإبداعية، وترغم العقول الناضجة علي التقولب وفق المقاسات المتاحة ،أوالتقوقع والتشرنق والتوقف عن النمو، وربما الانتحار في آخر المطاف، وليس شرطًا أن يكون انتحارًا ماديًا طبعًا.

ليست كل عودة إلى التراث يصدق عليها ذلك الوصف، فكثير من الذين تناولوا المكونات التراثية في أعمالهم الإبداعية قدموا رؤى حديثة، من خلال توظيف الشخصيات والرموز التراثية والتاريخية (7)، وأحسب أن سر نجاحهم في ذلك يعود– في أساسه – إلى تفهمهم للحالة الراهنة، وتعاملهم معها بموضوعية، تعترف بالآخر وتقر بوجوده؛ بل وبتميزه وتفوقه، بمقاييس حياة الناس إلى وم، إضافة إلى إدراك عميق يميّز بين التراثي والتاريخي، ويقدم فهمًا ينسجم مع ما يذهب إلى ه معظم علماء الأناسة" من ضرورة إدراك الظواهر الإنسان ية متبدلة في الزمان وبفعله، ... وأن هذا التبدل هو جزء لا يتجزأ من جوهرها وطبيعتها " (8).

الحركة الإحيائية تصلح أن تكون مثالًا مزدوجا – في المجال الأدبي – للعودة إلى التراث، إذ تمثل في بعض نماذجها عودة منفتحة تمتح من التراث وتعرضه للشمس، بقصد التفاعل والتعديل والتطوير؛ بينما تقدم في بعض نماذجها الأخرى ،عودة مغلقة تتمسك بالمنجز التراثي حرفيًا، وتلتزم حدوده، ولا تجيز، بحال، تعديله أو تجاوزه أو الخروج عليه، فيحوز القديم – عندها – هالةً من القداسة المصمتة التي لا تقبل التجزئة أو التفكيك؛ وفي هذه الحالة ذهب الشعراء والمبدعون يقتاتون التراث الشعري، معارضة واقتباسا وتشطيرا وتخميسا وما إلى ه، دون وعيٍ فني سليم بكيفية الاستفادة منه في تحقيق معادلة "التراث/المعاصرة" ولا يمكن إغفال الدور المهم المترتب على "حركة إحياء التراث" أواخر القرن التاسع عشر وطيلة النصف الأول من القرن العشرين ، وما تحقق من ربط وثيق للحياة الفكرية المعاصرة بماضي الأمة، وتاريخ اللسان العربي ومقوماته عن طريق "توجيه الأنظار إلى ما فيها من قيم فكرية وروحية وفنية صالحة للبقاء والاستمرار" (9)، فمنة التيار الإحيائي الكبرى هي ربط الحياة الفكرية المعاصرة بمنابعها الأصلية ،

بعد أن طال انقطاعها عنها، حتى كادت تذبل وتموت، ليعود الألق إلى تلك الأصول الصافية، ولتعود إلى مركز الصدارة ومنبع الإلهام، على الوضع الذي يسمح بتقديمها أنموذجا حقيقيا أصيلاً مقابلاً لنماذج الضعف والتخلف التي كانت سائدة، زمن الركود والانقطاع الذي تراكم غباره على نواحي الحياة الفكرية جميعها، حين ساد نمط معين من التإلى ف والكتابة والنظم ، يتمثل في الهوامش والاختصارات والنظوم والمعارضات، والأسجاع والمحسنات التي لا تدل – في غالب حالاتها – إلا على عقم في التفكير وتصحر في الوجدان وفقر مدقع في اللغة!!!.

الهروب إلى الأمام :

ليس كل عودة إلى التراث يمكن وصفها " بالهروبية إلى الخلف "، ولكن الأمر يتعلق بتلك العودة المغلقة دون سواها ، ويقابلها نقيضها "الهروب إلى الأمام" إن صح التعبير ، إذ تظل حالة الهروب" إلى الخلف أو إلى الأمام ، أو إلى أي اتجاه " تعبيرًا عن عدم تقبل الحالة الراهنة، أو عدم القدرة على التفاعل معها إيجابيًا ، لأن الهروب يمثل حالة سالبة من جوانب الفعل والحركة؛ و في مقابل النزعة المتشددة في الإعلاء من شأن التراث والاستماتة في الدفاع عنه ، بكل مكوناته، ووصفه بكل تمام وكمال، والجزم بمناسبته لشروط الحداثة والمعاصرة؛ بل تجاوزه لها بحيازته لقصب السبق عنها؛ وفي ردة فعل معاكسة ، **ظهر تيار** آخر يدعو إلى نبذ التراث وإلى ضرورة التخلص منه، واصفًا إياه بالقيد مرة، والوزر مرة أخرى ، ذاهبًا في بعض دعواته و"ادعاءاته" إلى أنه لا يمكن للأدب العربي الحديث أن يكتمل، أو تتوفر له أسباب القوة والتجذر، مالم يتخلص من تراثه المثقل ، لما يشكله ذلك التراث من قيود وحدود، وأعراف وتقإلى د، تقف حائلًا دون نمو الأدب العربي الحديث وتطوّره ، مثلما لا تكتمل رجولة الابن – عند بعضهم – إلاّ إذا تخلص من أبيه !!!. يقول أحدهم ، صراحةً : " إن الابن لا يستطيع أن يكتسب حريته ، ويحقق شخصيته إلا إذا قتل أباه "!!! وهو لذلك يدعو الإنسان العربي إلى " أن يميت تراثه الماضي في صورة الأب؛ لكي يستعيده في صورة الابن" (10)

ولأجل هذه الغاية جرت بعض المحاولات للتخلص من التاريخ العربي الإسلامي، إمّا بصنع تاريخ بديل عنه :" الفراعنة – بابل – أشور– الفينيقيون– سبأ–...إلخ"، أو عن طريق إبراز الجوانب الخافتة فيه، والتركيز عليها وتضخيمها، بغية تقديمها أساسًا لتراث الأمة، بديلًا لما هو سائد ومشهور، كما هو الشأن مع بعض حالات الخروج والثورة – مثلا – " الخوارج – الزنج – النبط . الديلم . الفاطمية...إلخ"؛ لتقدم تلك الأصول وهذه المشاهد على أنها جوانب أسياسية وحركات إيجابية في تاريخ المنطقة، قمعها سلطان التاريخ الرسمي للأمة ، وحال دون ظهورها وانتشارها، ومن ثم عدم سيادتها في المجتمع.

كل ذلك يأتي تحت ذرائع وحجج واهية بدعوى الخروج من حالة الضعف والتخلف والسعي نحو النهوض والتقدم، وفي ظل هذه الموجة وتداعيًا مع تلك الدعوات، لا يجد بعض دعاة هذا التيار بأسًا في نقد رموز التاريخ العربي الإسلامي ومقدساته ، بدعوى التقدمية ، ورغبةً في الذيوع والعالمية، ويصبح من الطبعي والحالة هذه أن يمثل الشعر العربي القديم وطرائقه المعهودة محطة أولى أمام تيار الاحتياج والتدمير، لكي لا تبقى أي علاقة للشاعر الحديث بالشاعر العربي القديم سوى أنهما يكتبان بلغة واحدة (11).

ومع تفهم بعض الدوافع والأغراض لمثل هذه المواقف في التعامل مع المكونات التراثية؛ إذ أن التراث ليس كتلة مصمتة؛"بل هو حياة متجددة ، والماضي لا يحيا إلا في الحاضر، وكل قصيدة لا تستطيع أن تمد عمرها إلى المستقبل لا تستحق أن تكون تراثًا"(12)، مع ذلك كله ، فليس من المفهوم، ومن غير المبرر – أيضا – أن يصل الخطاب إلى هذه الحدة في التعامل مع المكونات التراثية، حتى يقف بعض الكتاب متسائلاً :"في أي جداول بحرية نغسل تاريخنا المضمخ بمسك العوانس والأرامل العائدات من الحج ، الملوث بعرق الدراويش"!!!.(13)

ثانيا / القراءة التفاعلية تحسم الموقف:

في تزامن مع هذا التيار الجارف المتوجس من التراث المشكك في جدوى العودة

إلى هـ ، الساعي إلى نبده وتجاوزه والارتباط بالتفافة الوافدة ، وربما الاقتصار عليها، بديلاً للماضي ومواجهًا له ، سرى تيار ثالث، ولا يزال يسري ويتجذر، يقدم فهما مغايرا لأسلوب العودة المقترح، يتجاوز به العودة الحرفية، ويرفع المكونات التراثية عن الظاهرة النصية المجردة، ليصل بها حد التوجيه العام "للذاكرة الجمعية" لأبناء الأمة ومكوناتهم الوجدانية ، وهذا إدراك . في تقديري . يتجاوز السجال النصي الحرفي الذي ساد فترة من الزمن، ولا يزال يلقي بظلاله على بعض مكونات الحياة الفكرية العربية الإسلامية المعاصرة، إنه فهم يسقط من حسابه" التعصب للتراث" أو ضده ،لأنه يعتمد إدراكًا مفاده:"إن القديم يظل دائم الحضُور في اللحظة الحاضرة، وأن الماضي لا يمضي نهائيًا.... أما الحاضر فيحضر، ومعه في تلاونيه يحضر الماضي ، ويفعل فعله....، وهذا يعني أن اللحظات جميعها: الماضي – الحاضر. وما سيأتي لا تتعايش فحسب؛ بل تتعاصر هنا في منطقة الحضور، أي في ذواتنا ونصوصنا "(14)، وعلى هذا نعود لنؤكد أن تراث المرء جزء من تكوينه ، وأنه لا ينفصل عنه بحال، وإن ادعى خلاف ذلك ، ومواقفه منه إنما تعبّر عن غوصه فيه ، وإن بدا في بعض الأحيان غوصا مشاكسًا أو معارضا؛ على" اعتبار أن الإنسان قيمة ثقافية ونفسية، وثيقة الصلة بصورة الماضي ونماذجه العليا "(15).

وأمام هذا الوعي والإدراك لم يبق من سبيل غير إعادة القراءة المرة تلو الأخرى، بطريقة تفاعلية منفتحة تأخذ من النص التراثي بقدر ما تعطيه، وتكسبه حضوره بقدر ما تغوص فيه، فليس القصد من هذه العودة .– بالإدراك المتقدم – التعويض النفسي عن حالة عجز وانكسار، وليس هروبا إلى ماضٍ تليد مزدهر من واقع بائس مندحر ،لأن العائد، هذه المرة، لا يعود هاربًا ولا منكسرًا؛ وإنما يعود إلى تراثه ليتواصل مع ذاته، ويكمل مشواره الثقافي الحضاري الذي لا يمكنه التوقف، مادام اللسان العربي ضمن اللغات الحية التي يعتمدها بعض الأحياء أداة للتواصل والتفكير، أقول التفكير، لأن التواصل وحده غير كافٍ لتأسيس الظاهرة الحضارية وامتداد حراكها الثقافي ، فحالات الضعف . أحيانا. تمثل حافزًا إضافيًا للإبداع، لأن من يعاني القهر والحرمان ، ويستشعر

الخطر الداهم لا يرى من سبيل أمامه غير التشبث وبكل قوة بما تبقى لديه من مقومات وجوده وأسباب استمراره.

الوسائط والأدوات :

الأسئلة المهمة في هذا الصدد هو: كيف يمكن تحقيق نوع جديد من التواصل مع المكونات التراثية، وفقا لهذا الإدراك؟ وماهي الوسائط والأدوات المقترحة لإنجاز قراءة تفاعلية ناجحة مع النصوص والمكونات التراثية؟ وهل تقتصر هذه الأدوات والوسائط علي ماكان معروفًا عند الأقدمين من أساطين هذا اللسان؟.

ليس خافيا مدى صعوبة الإجابة عن هذه التساؤلات ومثيلاتها ، وبخاصة إذا انصب الاهتمام علي تقديم إجابات قطعية، كماهي العادة عند بعض الدارسين؛ لأن اقتراح أسلوب ما للتعامل مع "المكون التراثي" – موضوعيًا – لا يعدو أن يكون استقراء أو تخمينًا، يهدف إلى تجريب أساليب جديدة لتفكيك المكوّن التراثي، وإعادة ترتيب العلاقات فيما بين مكوناته ومع مكونات الوجود الراهن، لحظة الاتصال والتفاعل، وهو ما يسميه بعض الدارسين " بالتحيين "، وأقصد به نقل النصوص المقروءة من تضاعيف وجودها التاريخي إلى اللحظة الراهنة، حال القراءة والتواصل؛ لأن ذلك يعني بعثًا حقيقيا للنص، ؛ إذ لا وجود له على التحقيق إلا لحظة الاتصال به والتفاعل معه، فالنص وإن شُكل علاماتيًا في حيز زمني سابق لزمن الاتصال – ضرورة – فإنه لا يحقق تعيّنه ووجوده إلا بدخوله حيز القراءة، بكل أنواعها : العابرة، والمتفاعلة، والمنتجة.

لعله من الواضح – هنا – أن الداخل إلى أفياء التراث لا يمكنه أن يدخل مجردًا من كل شيء؛ إذ لا يمكنه التخلص من مكوناته الثقافية والوجدانية، فتجاربه السابقة تلاحقه في حله وترحاله ، بل لا يمكنه الفكاك منها حتى في نومه، وعلى هذا فهو يتواصل مع المكون التراثي تحت تأثير ذلك كله، ولا شك في أن العلاقة – ومن ثم الحكم – سيتلون بما تقدم، وبهذا يتفاوت القراء وتتمايز قراءاتهم؛ وبهذا الفهم يمكن الإشارة إلى

صنفين من القراء، وإلى نمطين من القراءة :

الصنف الأول من القراء يمكن وصفهم بقراء اللحظة الراهنة والنمط السائد، وهؤلاء يجتهدون في أن تكون قراءتهم ممثلة لروح عصرهم أحسن تمثيل، وهم في هذا يتجاوبون مع السائد من أنماط التأويل والقراءة، وقراءتهم بهذا المعني قراءة نمطية لا تخرج عن تقإلى د السائد واشتراطاته ، وإن كانت قراءة واعية مدركة.

أما الصنف الثاني من القراء، فهم الذين يتجاوزون السائد من أنماط القراءة، ويؤسسون لإقامة قنوات جديدة للتواصل مع النص المقروء، ما يعني خروجهم عن أنماط القراءة السائدة ، وهؤلاء القراء "لا يستجيبون لهيمنة التلقي الجماعي، فيبدعون من هذه المقاومة قراءتهم الخاصة التي تكون مقدمة لتشكيل نمط جديد من أنماط القراءة والتلقي" .(17)

وعندها ينفرط عقد القراءة الجماعية المقبولة والمصدّق عليها جماعيًا، ليحل محلها نمط جديد من أنماط القراءة لا عهد لأهل اللسان به !.إنها قراءة تتجه إلى الكامن في أغوار النص، وتتوجه بخطابها إلى المسكوت عنه ، لتقيم حوارًا بكراً، قد لا تُرى بعض مكوناته ، ولكنها تدرك حدسًا، من خلال تضاعيف السياقات النصية ، وغير النصية، وهذه قراءة أقرب للإبداع منها للفهم والتأويل، وإن كانت لا تستغني عنهما، من أجل الوصول إلى تلك الحالة الخاصة من الاندماج مع بعض النصوص المكتنزة التي تضمر أكثر مما تظهر، وتخفي أضعاف ما تبدي؛ بل إنها صامتة في غالب أحوالها، وهي تقول كلَّ شيء في الوقت نفسه!.

إعادة القراءة لأساليب تحليل الخطاب في التراث البلاغي والنقدي **إحدى الطرائق المقترحة لتقديم** أدوات وأساليب جديدة في التواصل مع التراث وتحليل مكوناته ، تأسيسا على أن إعادة القراءة الناقدة المدعمة بروح العصر وأدواته لابد أن تقود إلى الكشف عن أفضل السبل المتاحة للتعامل مع الكوّن التراثي، وسبر أغواره؛ لأنه لا يمكن إسقاط

المعطى التاريخي / الاجتماعي من عناصر التفاعل بين النص وقرائه ، فالعلاقة الجمالية لا تتخلص من الأثر التاريخي نهائياً ، وكثيرا ما يتدخل الأفق الظرفي / التاريخي ليحدد نقاط التركيز في سياق التلقي فيصبح "المسكوت عنه" – في ظرف ما – مقصودًا بالخطاب في ظرف مغاير، ويصعد المهمل، "وغير المفكر فيه" ليتصدر المشهد كله في لحظة تاريخية لاحقة.

وإعادة القراءة تعني ـ فيما تعنيه ـ تعدد مرات العلاقة ما يعني تجاوزها للحتمية الظرفية، وهو ما يتيح للنص، محل العلاقة، فرصة مواتية لإبراز مكنوناته الغائرة ومفاتنه المستترة ، "ومن هنا يكون النص موقعًا لإبداع في حالة كمون ، ولطاقة جمالية مستترة ، ثم لقارئ تجريدي لابد من أن يتحقق بحسب امتداد تاريخ تداول النص"(18) ، ومع ذلك، فإن "القراءة المثلى لأي نص – قديما كان أم حديثا– تظل غاية لا تدرك؛ لأنه ليس في حيز الإمكان البشرى أن يكون النص والمتلقي ولا شيء قبلهما ولا بعدهما ، ومادام ذلك من باب "الغول والعنقاء والخل الوفي"، فلا مناص من تكرار التواصل مع المكونات التراثية الحية القادرة على الاستمرار والعطاء ، وفقًا لحالات الداخلين عليها ، وراهنهم الظرفي، واشتراطاتهم التاريخية، لأن الاشتباك الأهم " ليس بين النص والقارئ فحسب؛ بل ثمة اشتباك أكثر أهمية هو الذي يجري بين القارئ السابق والقارئ اللاحق"(19).

فيما يتعلق بقراءة النص التراثي، يمثل الإدراك التاريخي لعملية التلقي أهمية قصوى؛ لأنه يقود ـ حتماً ـ إلى القول بنسبية الظواهر الإنسان ية، وعدم إطلاقها ، **فتاريخية التلقي تفترض محدودية الأفق**؛ لأن التحيز صفة لازمة للمحدث المحدود تمايزه عن صفات " القديم المطلق " تبارك وتعالى .

إن هذه القراءة الجديدة، وإن كانت تنطلق من مقولة أساسية في البلاغة العربية، ونعني بها مقولة "مقتضي الحال"، وتابعها "الخروج على مقتضي الحال"، فهي تركز بالأساس على العلاقة بين المنطوق والمفهوم ، وهي علاقة لا تتحقق إلاّ باستحضار

نظرية الاتصال "المنتج ـ الرسالة ـ المتلقي"، فالرابط لهذه الثلاثية هو الحال ومقتضاه ، ثم الخروج على هذا المقتضى أحيانًا ، وهو الذي يكشف العلاقة بين سطوح النص وأعماقه (20)، تحقيقاً للهدف النهائي من هذه القراءة وهو الغوص إلى أعماق النص التراثي لكشف علاقاته الغائرة الكامنة، انطلاقاً من شبكة العلاقات المكونة لسطوحه ودلالاته الظاهرة.

تطوير الأدوات القرائية التراثية واسترفاد أدوات جديدة :

ملمح آخر من محاولات الاهتداء إلى أسلوب فعّال في العودة إلى المكوّنات التراثية ، وهو يتأسس على ثنائية متناقضة ولكنها مغرية، إنها ثنائية "**الاعتداد بالذات /الانبهار بالآخر**"،وقد سبقت الإشارة، كيف كانت حالة التماس مع المنجزات المادية للحضارة الغربية صادمة لأبناء الأمة ، للوهلة الأولى ،عندما حركت الأساطيل والجيوش الغربية باتجاه الشرقين : الأقصى والأوسط ، وكيف كانت حالة الصدمة والذهول ، غير أن تلك الحالة لم تلبث أن تحولت إلى مواقف فكرية وممارسات ثقافية ، حين أتيح لبعض أبناء اللسان العربي الاطلاع الواسع على الثقافة الغربية ، حيث عكف عدد منهم على دراسة نصوصها الإبداعية وحاولوا تحليلها وترجمتها، لتأخذ طريقها في الانتشار بين الأوساط الأدبية والثقافية العربية ، هذا الأثر لم يكن مقصورًا علي جوانب الإبداع النصي، بل كان شاملا للحياة الأدبية والفنية حتى الفكرية ، وكان التأثر لافتا في حركة النقد الأدبي، ما أدى إلى استرفاد بعض الأدوات والأساليب الإجرائية التي كادت تؤدي إلى عاصفة كاسحة تنقض المكوّن التراثي من أساسه ، عندما أقدم بعض الدارسين على إعمال بعض الأدوات والمناهج الغربية في حقول النصوص التراثية، دون مراعاة للخصوصية الاجتماعية والسياقات غير النصية.*

إن القراءة التفاعلية المقصودة لا تكتفي بمجرد توظيف الأدوات والمصطلحات الحداثية فحسب ، ولا تترك المصطلح خالصًا لمكونات بيئته التي وقد منها ، "وإنما تسعي إلى تعريبه ، ولا نقصد بالتعريب هنا مجرد الترجمة؛ بل المقصود إكساب المصطلح

بعضًا من الخصوصية العربية التي تعطيه صلاحية شرعية لمقاربة النص العربي"(21).

على سبيل المثال، يذهب بعض الدارسين العرب إلى أن كتابات الشاعر والناقد الإنجليزي "ت.س.إلى وت "وآراءه تعد من أقوى المؤثرات الأجنبية على الحياة الأدبية والنقدية العربية الحديثة ، وبخاصة ما تعلق منها بأهمية العودة إلى التراث ، والقول بحياته وسريانه في أوصال النصوص المعاصرة ، وضرورة إيجاد "المعادل الموضوعي " للعواطف والمشاعر الذاتية؛ وهي دعوة تقوم على الحس التاريخي لا على الرصد التاريخي للمكونات التراثية، ويتضمن الحس التاريخي إدراكًا لا لمضي الماضي فحسب ، بل لشهوده أيضاً في اللحظة الحاضرة ، وتلك دعوة تسعي إلى إزاحة الفواصل بين القديم والحديث، وفي الوقت نفسه، لا تسمح للجديد أن يذوب في القديم وينحصر فيه، وربما كان من أسباب انتشارها وذيوعها في الأوساط النقدية والأدبية العربية – طيلة النصف الثاني من القرن العشرين – طريقة فهمها و تطبيقها نقديا، وأساليب توظيفها إبداعيا؛ إذ لولا ذينك لظلت – في تقديري – فكرة غائمة، أو تنظيرات مجردة لا حظ لها من واقع النقد، ولا من تجليات الإبداع، كما هو مصير غيرها من المترجمات الكثيرة.

قد يتبادر إلى الذهن استحالة التعديل في الماضي لأنه فات وانقضى ، وهذه صورة خادعة؛ لأن المقصود ليس المتابعة التاريخية الحرفية؛ بل المقصود الحس التاريخي الذي يمكنه تعديل إحساس الأحياء بالمكون التراثي ، ومن ثم تعديل نظرتهم إلى ه وطريقتهم في التعامل معه ، إن الإدراك السليم للبعد التاريخي في المعطى التراثي ينتج من المكوّن التراثي قوة دافعة تسهم في تجميل الحاضر والتشويق إلى الآتي.

لهذا كله كان لزاماً على أصحاب القراءة الجديدة أن يعيدوا تقييم المصطلحات البلاغية والأدوات النقدية الموروثة بغية تطويرها، وتفعيل المناسب منها لمشروعهم القرائي الحديث؛ وفي الوقت نفسه، أن ينتقوا من المصطلحات الوافدة وأدواتها الإجرائية ما يحسون أنه مناسب للحياة الأدبية والفكرية العربية الإسلامية، وبالطبع ليس من إلى سير أو الهين إنجاز مثل هذا الطموح (**)؛ وأحسب أن نتائجه وثماره لازالت غير منظورة

حتى يوم الناس هذا؛ بل إن ما يتربع على قمة المشهد الحاضر حالة من الاضطراب والفوضى والضبابية في كيفية إدراك المكونات التراثية، وأساليب توظيفها وتفعيلها في الحياة المعاصرة.

نسبية المعطى الدلإلى للقراءات المتعاقبة :

إن الإدراك المتقدم القائم على نسبية الحمولات الدلإلى ة لقراءة المكونات التراثية يقدم منطلقًا مهمًا في أسلوب القراءة المقترحة للنصوص والمكونات التراثية ، يبتعد بها عن مقولات الإحاطة والشمول؛ وهو المدخل الوحيد إلى مساحات الإبداع ،عندما يغلب على ظن "اللاحق" أن "السابق" قد قال وكتب واجتهد ، ولكنه ترك شيئا كثيرًا يمكن القول فيه الاجتهاد في تفاصيله ، والكتابة حوله؛ ولكن هل مقولة " **النسبية للحمولات الدلإلى ة** " مطلقة؟ هل يمكن الركون إلى ها في التعامل مع النصوص جميعها؟.

لا بد من التنبيه – في هذا الموضع – إلى أنه يمكن تقسيم النصوص من حيث الثبوت والدلالة – وكما هو معلوم – إلى : نصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة ، وأخرى قطعية الثبوت ظنية الدلالة، وثالثة نصوص ظنية الثبوت والدلالة معًا؛

ولعله من الجلي البيّن أنه لا يمكن ادّعاء "نسبية المعطى الدلإلى " عند التعامل مع الصنف الأول من النصوص، ومثالها ورأس أمرها المحكم من القرآن الكريم ، وجميع النصوص المتعلقة بالتوحيد في الكتاب والسنة، فإن **فهم السلف الصالح لها وتعبدَهم بها** لا يمكن لأحد أن يدعي المزيد عليه، أو الإضافة إلى ه؛ أما غير ذلك من النصوص التفسيرية والتاريخية والوثائقية والإبداعية فهي محل هذا الظن من "نسبية المعطى الدلإلى "، ومن ثم فهي محل معاودة النظر لاقتناص المزيد، في حدود ما تسمح به استراتيجيات تلك النصوص ذاتها، ومرجعيات القراء على اختلاف ذواتهم ومكناتهم الثقافية والمعرفية، وأعصره وبيئاتهم، فإن لكل قارئ ذاكرة معرفية يتم من خلالها تفكيك النص وتأويله، كما أن لكل نص استراتيجية محددة، تخضعه لنسق فكري وثقافي وبناء داخلي، وهذه

الاستراتيجية هي التي تمكنه من التحاور مع المتلقي، وترسم له الحدود التي لا ينبغي تجاوزها.؛ لذلك ينبغي التأكيد على أن انفتاح النص [التراثي] لا يعني أنه يقبل كل التأويلات، فالعلاقات الداخلية للنص تحتم ترجيح حمولات معينة وإقصاء اخرى، وبالنتيجة، فغالبا ما تقول النصوص – بشرية المصدر – أكثر مما كان يريد كتابها قوله، ولكن أقل بكثير مما يريد العديد من القراء أن تقوله (22).

إن نسبية المعطى الدلإلى للقراءة الواحدة هو ما يعطي الحق للنصوص المحدودة – كمًا – في تجاوز الحدود الزمانية والمكانية؛ بحيث يمكن للنص المحدود أن يمتد في أ زمنة متعاقبة غير محدودة، ليكون "صالحًا لكل زمان ومكان "؛ لأنه – أي النص – لو كان محدودًا مقطوعًا بدلالته في القراءات السابقة لما أمكن القول باستمراره وامتداده، ومن ثم بصلاحيته لكل زمان ومكان، والنصوص الإبداعية الثرية تحمل شيئا من هذا النفس ، وإن كان على نحو مغاير؛ إذ يمكن لبعضها أن يكون مصدر إلهام لأجيال متعاقبة ، وقد يستمر في مسيرة عطائه ما بقي ذلك اللسان الذي صيغ فيه حيًا متداولًا.

خاتمة وتوصيات :-

وأخيرا يمكن القول- بكثير من الثقة – إن التراث هو النسق المعرفي العام الذي تأسس في مرحلة تاريخية كان فيها العلماء يبدعون ويسهمون في إنتاج المعرفة، وإنه كل متكامل، يشكل في مجموعه خطابًا منسجمًا، يتغذى بالاختلاف الذي أثرى به العلماء تصوراتهم وآرائهم، ولا يمكن نفي التأثير الذي تركه الماضي على الحاضر، فلسنا سوى جزء منه، ولا ينقطع تأثيره عاطفيًا وثقافيًا، ومن ثم، فكريًا وسلوكيًا، "فما فينا أو معنا من حاضرنا، من جهة اتصاله بالماضي، هو تراث أيضا " (23).

ومن خلال العرض المتقدم يتضح أن التعصب " للتراث"- وإن جاء بنية حسنة – غير مفيد لمشروع بعث التراث وإحيائه؛ بل قد يسبب من الضرر مالا يقل خطورة عن القول بنبذه والتخلص منه؛ لأنه يؤدي ، فيما يؤدي إلى هـ ، إلى تجميد اللسان وتعطيل

روح الإبداع بين أبنائه ، فيقود إلى ضموره وموته ، وإن كان موتًا بطيئًا ، ليتحول ذلك اللسان، عن غير قصد من الفاعلين، إلى ما يشبه الأجسام المحنطة في الحضارات القديمة.!!

وما دام المشروع الأهم هو بناء الذهنية المعاصرة على أسس من هويتنا العربية الإسلامية، فإن أداته الأساسية " العقل الذي يسعى إلى اكتمال المعرفة، واكتمال المعرفة لا يمكن أن يتحقق بالنقل أو التقليد، لأن الأول إلغاء لوجود الناقل، والثاني إلغاء لعقله " .(24)

كما أن الانبهار "بالوافد" والاتجاه الكلي إلى ه لن يقدم حلًا لمشاكل الأمة المعاصرة؛ لأنه توجه يتجاهل الخصوصية ، ويهمل شروط البيئة الحاضنة التي يهدف إلى العمل من خلالها، وإحداث الأثر فيها، ومع التسليم بأن " هناك هيمنة قوية للموروث القديم على فكرنا، الشيء الذي جعل أدوات إنتاجنا الفكري تخضع – إن قليلا أو كثيرا– لهذا الموروث القديم – بوصفه بنية عامة – سواء أردنا أن نمارس تفكيرًا عقلانيًا أو لا عقلانيًا "؛ ولكن الأهم أن ندرك أن " ممارسة العقلانية أو التفكير العقلاني تجعل صاحبها يعي أكثر فأكثر هذه الهيمنة، ويحاول أن يتحرر منها، ...، فلا أحد يستطيع الادعاء بأنه تحرر نهائيًا من الموروث القديم بكل سلبياته وبكل إيجابياته" (25)، فحتى الذين يحاولون ممارسة أقصى حالات الإقصاء على المكونات التراثية ينطلقون من مواقف تأثرت بتلك المكونات، أولا وأخيرا.

و**يبقي المقترح** هو ما تقدم من خطوات إجرائية على صعيد القراءة النقدية للنصوص والمكونات التراثية، ويمكن أن يتعزز هذا عمليًا **بالآتي** :- **أولاً** – الاستمرار في نشر النصوص التراثية وتحقيقها ودراستها بالوسائط والأساليب الحديثة، المحلية والعالمية.

ثانيا– توسيع الحيّز المخصص لدراسة النصوص التراثية في البرامج الدراسية – على

مختلف المستويات – والعمل على توظيف الأساليب الحديثة في هذه الدراسات" المدارس الأدبية والنقدية الحديثة ".

ثالثًا – إقامة المؤتمرات والندوات العلمية بالخصوص لإتاحة الفرصة أمام المهتمين لمزيد من البحث والتشاور والحوار حول مسألة "التراث / المعاصرة " "الأصالة /الحداثة "، واقتراح أفضل السبل لانجاز هذا المطلب في وجهته السليمة، وخير مثال لنجاح هذا المسلك – من وجهة نظري– تجارب شعوب شرق آسيا كما في " الصين – إلى ابان – كوريا – مإلى زيا " مثلا.

رابعًا – تشجيع الباحثين الجادين على إجراء الدراسات النقدية والفكرية في هذا الموضوع، والمساعدة على نشر الكتب والأبحاث بالخصوص.

خامسًا – تعاون الجامعات ومراكز الأبحاث وغيرها من المؤسسات المعنية باللغات والعلوم الإنسان ية في هذا المضمار، للإسهام في تشكيل وعي عام بأهمية هذا الموضوع، ومدي أثره علي حياة الناس، إلى وم وغدًا ، وإبراز الوجهة السليمة التي ينبغي لجميع المعنيين التحرّكُ نحوها، بما يحقق وحدةً للرؤيا والأهداف من العودة إلى المعطى التراثي في حياتنا المعاصرة.

الهوامش /

بحسب ورودها في الورقة

1. ينظر : محمد علي كندي، العودة إلى الجذور..، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد: 30، سنة 2018. (2) – ينظر على سبيل المثال :

محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء: 1991

وجابر عصفور : قراءة التراث النقدي، مؤسسة عيبال، ط1 :1991؛
وأدونيس، الثابت والمتحول، دار الفكر، بيروت، ط5 : 1986؛
وعبد السلام بنعبد العإلى ، التراث والاختلاف، دار التنوير، المركز الثقافي العربي : 1985.

(3)- ينظر : جابر عصفور،قراءة التراث النقدي، ص119
(4)- ينظر : التراث ومشكل المنهج، ص74. في كتاب المنهجية في الأدب والعلوم الإنسان ية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1986.

(5) – علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية ، الشركة العامة للنشر، طرابلس – ليبيا،ط1: ص58.
(6) . نفسه.
(7)- ينظر : محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت . لبنان، ط1 :2003.

(8) – محرز الحمدي، التاريخ والتراث، من أعمال ندوة التراث والتحديث، المعهد الأعلى للحضارة الإسلامية، جامعة الزيتونة، تونس: 2004، ص16.
(9) – على عباس علوان، تطور الشعر العربي الحديث في العراق، دار الشؤون الثقافية، بغداد: د. ت، ص118.
(10) . بولس نويا، مقدمة كتاب الثابت والمتحول ، دار العودة ، بيروت . لبنان ، ط: 4، ج1، ص16.

(11) . بنظر: محمد علي كندى ، الرمز والقناع، ،ص139.
(12) . على عشري زايد، (م.س)، ص30.
(13) . أدو نيس "علي أحمد سعيد "، جريدة النهار، نقلا عن : عبد الوهاب البياني ، الشاعر العربي المعاصر والتراث ، فصول ، القاهرة ،عدد:4 المجلد1 : 1984، ص19.
(14) . صلاح عبد الصبور ، حياتي في الشعر، دار العودة، بيروت، لبنان : 1969، ص113.

(15) . أدو نيس ، مرثية الأيام الحاضرة ،الآثار الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ط :1971 ، ص512.

(16) . محمد لطفي إلى وسفي ، القصيدة المعاصرة والمؤثرات الأجنبية في الشعر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ت، ص57.

(17) . نادر كاظم ، المقامات والتلقي، لقاء أجراه :حسام أبو أصبع ، صحيفة الوسط، البحرين، العدد :643. (18) – محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر، دار المعارف، القاهرة :1984، ص325.

(19) . إدريس بلمليح ، القراءة التفاعلية ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1 : 2000، ص5.

(20) . نادر كاظم ، (م – س).

(21) . ينظر : د. محمد عبد المطلب، من مقدمة لكتاب : في لغة القصيدة الصوفية ، محمد علي كندي ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 : 2010، ص13.

(22) – ينظر: عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 1985، ص14، وكذلك : نصر حامد أبو زيد، إشكالي ات القراءة وإلى ات التأويل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1992، ص42.

(23) – ينظر: محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991، ص60. (24) –.جابر عصفور، قراءة جديدة لتراثنا النقدي، ضمن كتاب قراءة التراث النقدي، المجلد الأول، النادي الأدبي الثقافي بجدة، 1990، ص.124.

(25)– محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص252.

*– كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين، وكتاب أصول الحكم لعلي عبد الرازق، وكتاب الثابت والمتحول لأدو نيس، من أبرز الأمثلة، وغيرها كثير.

**على سبيل المثال :

– إدريس بلمليح: القراءة التفاعلية.

. جابر عصفور: قراءة النقد الأدبي.

ـ محمد العبد : المفارقة القرآنية.

. عاطف جودة نصر:الرمز الشعري عند الصوفية.

ـ محمد عبد المطلب: بناء الأسلوب – البلاغة والأسلوبية – قراءات أسلوبية – هكذا تكلم النص ـ البلاغة العربية قراءة أخرى – النص المشكل – كتاب الشعر.

ـ محمد علي كندي : الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث ـ في لغة القصيدة الصوفية "المفارقة في ترجمان الأشواق". .، وغيرها.